المبحث الرابع : نتائج النهضة وخصائصها

نتائج النّهضة :

1- في المجال السياسي

2- في المجال الاقتصادي والاجتماعي

3- في المجال الديني

4- في المجال الثقافي ، الفكري والعلمي

خصائص النّهضة :

1- النزعة الإنسانية

2- جمع التراث اليوناني واللاتيني القديم

3- الاهتمام بالآثار وعلم التاريخ

4- نهضة فنية

5- إحياء الدراسات القديمة

6 - ظهور اللغات الحديثة

7- الإصلاح الديني

8- الخصائص الفكرية والعلمية

9 - الخصائص السياسية

10- الخصائص الاقتصادية

11- تعاظم دور المرأة وانحطاط مستوى الأخلاق والآداب العامة

تمهيد:

مثلت نتائج النهضة نقلة نوعية في تاريخ أوربا، نقلتها من العصور الوسطى إلى العصر الحديث شهد فيه المجتمع الأوربي تحولا جذريا في مختلف القطاعات، وقد اختلفت هذه النتائج بين بلد وآخر تبعا لخصائص النهضة التي اختلفت هي الأخرى بين منطقة وأخرى.

نتائج النهضة الأوربية:

1- في المجال السياسي:

أدّى انهيار الاقطاع الزراعي إلى زوال الهيمنة السياسية للأسياد نتيجة تطور التجارة وظهور المدن، فانتقل عبيد الأرض إلى الإقامة في المدن لممارسة التجارة ومختلف الصناعات والحرف، وأصبح منهم التجار يشاركون في إدارة المدينة()التي أضحى لها كيان مستقل قائما على أسس جغرافية واقتصادية وبشرية()واستطاع الحرفيون والصناع اقتسام السلطة مع طبقة كبار البورجوازيين.()

وبعد التحول النوعي في طرق التجارة نحو الغرب زاد الرأسمال التجاري في دول أوربا الغربية، التي أصبحت تعج بمختلف الأنشطة الاقتصادية وظهرت طبقة كبار الرأسماليين الذين تحالفوا مع الملوك على حساب الأسياد

والأشراف الذين كانوا يميلون إلى اللامركزية والحرية في إدارة إماراتهم()هذا أدّى إلى وجود حكومات ملكية مركزية قوية كانجلترا وفرنسا وإسبانيا، وهي الدول التي ضعف فيها كثيرا نفوذ الأمراء والإقطاعيين وأصبح فيها ولاء أفراد الشعب للملكة دون غيرها، فنمت سلطة التحكم في الدولة للملك، أدّى إلى فرض شبه سلطة مركزية. ()

فظهور البورجوازية ساهم في تدعيم الحكومات الملكية المركزية، وساعد على تهلهل الإمبراطورية والكنيسة وضعفهما، وزالت معها نظريات سياسية كانت ترى بأن الإمبراطور ظل الله في الأرض وسلطته من سلطة الله، لتسقط هذه النظرية لصالح فكرة أخرى –أملتها الظروف الاقتصادية- تقول بأن للملك الحق في استعمال شتى الأغراض لتتقدم الأمة، وكذلك لصالح نظرية أخرى مفادها "الحركة إنما أنشئت لأهداف واضحة وهي مصلحة المحكومين".()

وبذلك تبلورت فكرة الحق الطبيعي وحلت محل الحق الإلهي، وما نتج عنها من تطبيق القانون المدني وحقوق الإنسان محل القانون السماوي() بعدما اعترف للنقابات التجار والصناع من حقوق سياسية داخل مدن الحكومة الملكية المركزية، جعلتهم يتقاسمون حكم المدينة مع كبار البورجوازيين.()

هذه الحكومات الملكية المركزية التي ظهرت خلال عصر النهضة كانت النواة التي انبثقت منها الدول الحديثة، وهي الدول التي تبلورت بعد التحول الهائل في استعمال اللغات المحلية القومية، جعل لهذه الدول كيان قومي وسياسي (حكومة ملكية مركزية بحدود جغرافية وبنية اقتصادية وتركيبية بشرية ذات لغة محلية). ()

وسوف تتبلور هذه الملكيات في القرون اللاحقة بعد عصر النهضة إلى دول ملكية مقيدة لتصل في النهاية إلى دول ديمقراطية حديثة. وفي خضم هذا التحول سوف تتبلور حركات الاستقلال القومي والوحدة القومية لدى كثير من القوميات القابعة تحت حكم بعض الدول الملكية المركزية()كما هو الحال للقومية الهولندية و السويسرية، استطاعتا الانفصال عن الملكية الإسبانية (1648م) ()ونجاح حروب الوحدة القومية في كل من ألمانيا وإيطاليا (1870م) بعد نضال طويل ضد الملكتين النمساوية والفرنسية. ()

كما أن تطور الجغرافيا خلال عصر النهضة أدّى إلى ظهور الكشوفات الجغرافية التي توجت باكتشاف أمريكا (1492م) واستيطانها من طرف الأوربيين()كما أدت إلى الوصول إلى مناطق أخرى في إفريقيا وآسيا والشرق الأقصى، توجت بظهور الاستعمار الأوربي الحديث في هذه المناطق.

2- في المجال الاقتصادي والاجتماعي:

كان من أبرز نتائج النهضة الأوربية انهيار نظام الاقطاع الذي هيمن على الحياة الاقتصادية والاجتماعية طيلة العصر الوسيط، وحل محله الاقتصاد الصناعي التجاري الذي ظهر نتيجة نمو التجارة وازدهار المدن، أدّى إلى هجرة عبيد الأرض للعمل في التجارة والصناعة والحرف والاستقرار في المدينة فزالت تدريجيا طبقة رقيق الأ رض وظهرت طبقة جديدة هي الطبقة المتوسطة.

وقد حدث في عصر النهضة تحول في طرق التجارة من شرق أوروبا نحو غربها نتيجة هجرة الأسماك وظهور الكشوفات وانتهاء حرب المائة عام، أدّى إلى توفر الأمن والاستقرار في الطريق التجاري الجديد القديم الممتد من الألب في إيطاليا وصولا إلى فرنسا، وما نتج عن ذلك من ازدهار في موانئ الدول الغربية (فرنسا، انجلترا، إسبانيا) ()فنمت التجارة والصناعة ونمت معها طبقة كبار الرأسماليين الذين يمثلون كبار التجار والصناع الأ ثرياء الذين تحكموا في الحياة الاقتصادية وتحالفوا مع ملوك الحكومات المركزية لضمان دورة رؤوس أموالهم ()وتكتسي أهمية هذا المنعطف الاقتصادي في كونه أدى على زيادة الثروة التي وفرتها التجارة الأوربية العالمية عقب الكشوفات الجغرافية، أهل أوربا لتتحول إلى الاقتصاد الزراعي التجاري، الذي كان له دور في ظهور الثورة الصناعية()لأن هذا الاقتصاد سوف يقوم بضخ رؤوس الأموال في دول أوروبا الغربية، خاصة بريطانيا، وهو ما يفسر أسبقيتها التاريخية في الثورة الصناعية (1750م).

على المستوى الاجتماعي أدت النهضة إلى تحسن مستوى المعيشة بعد توجه الأقنان إلى المدن لممارسة التجارة ومختلف المهن والحرف، فتحرروا من العبودية وزال نظام الولاء الاجتماعي للسيّد الذي كان يتحكم في الحياة الاجتماعية للفن. ()فظهر نمط جديد من الحياة الاجتماعية أصبح فيه الأقنان الذين تحولوا إلى

تجار وحرفيين (طبقة متوسطة) أحرارا، عمالا أجراء()فتحسنت أوضاعهم الاجتماعية والمادية والصحية.

أحدثت النهضة كذلك تغيرات هامة على مستوى حرية الأفراد وصل إلى الخروج عن التقاليد من خلال الأغاني والقصص والصور التي تتناقض مع الأخلاق، وتعاظم دور المرأة في حقول العلم والفن والعلم والمهن، وأصبحت محورا للفن في ناحيته الجمالية والفنية والعاطفية وانتشرت الملاهي وانهارت المبادئ الأخلاقية، حتى أن بعض المفكرين انتقدوا هذا الانحلال كدانتي وبترارك. ()

3- المجال الديني:

اكتسبت الكنيسة نفوذها وقوتها من نظام الاقطاع، فقد نافست النبلاء في امتلاك إمارات إقطاعية والتحكم في نظامها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وبما أن هذا النظام قد انهار فقد انهارت معه قبضة الكنيسة على المجتمع الغربي. ()

إلا أن أهم ضربة قسمت ظهر الكنيسة هي دعوة الإصلاح الديني، التي قادها مفكرون توجت بالثورة على الكنيسة الكاثوليكية كثورة مارتن لوثر،()في ألمانيا وحركة كالفن()في فرنسا وزونجلي()في سويسرا، تحولت فيما بعد إلى حروب بين دول موالية للكاثوليكية وأخرى موالية للإصلاح، وانتهت هذه الثورات والحروب الا عتراف بالمذاهب الدينية الجديدة وحرية الاعتقاد الديني،()فانتشرت المذاهب الإصلاحية البروتستانتية (المنبثقة عن حركة مارتن لوثر كمذهب كالفن ومذهب زونجلي) بشكل مذهل في أوربا بكل من ألمانيا وانجلترا والدانمارك، السويد، النرويج، فرنسا هولندا، بولونيا، بوهيميا .... وحتى في إيطاليا مركز البابوية الكاثوليكية وجد هناك من تأثر بالمذهب البروستاتي الجديد. ()

وهو ما أدى إلى تشكل الكنائس القومية وانفصالها عن الكنيسة الأم (الكاثوليكية) فتقلص نفوذ البابا الروحي و السياسي وما نتج عن ذلك من سيادة الدولة على الدين بظهور ما يسمى بالنظام العلماني()الذي أبعدت فيه الكنيسة نهائيا عن التدخل في شؤون الحياة السياسية، فزال سلطانها الروحي والسياسي والاقتصادي الذي ساد طيلة العصر الوسيط

4- في المجال الثقافي- الفكري والعلمي:

أدت عملية البحث في التراث اليوناني والروماني إلى إحيائه وغدى جزء من تراث الإنسانية()وقد استطاعت النهضة أن تضفي عليه طابعا تجديديا، تميز بروح الذوق والجمال والإبداع والاعتزاز بالإنسان وإبراز قدرته على التعبير.

ومن ثم برزت قيمة الإنسان في عصر النهضة، فتغيرت النظرة لحياته وعلومه وفنونه وأدبه وفلسفته ومختلف نشاطاته التي اعتبرت كلها كقيمة إنسانية يمكن الاستفادة منها في بناء المستقبل عكس النظرة القديمة للكنيسة التي أهملت حياة الإنسان ومنجزاته. ()

وقد ازدهرت الآداب والفنون في عصر النهضة وتحولت مناهج دراسة التاريخ وتبلورت اللغات الحديثة والآداب القومية بعد أن تم الاستغناء عن اللغة اللاتينية()التي ظلت طيلة العصور الوسطى لغة القراءة والكتابة، فانتشر التعليم في المدارس والجامعات ()خاصة بعد ظهور الطباعة (1454م) وما صاحبها من انتشار للمؤلفات العلمية والأدبية()بمختلف اللغات لأوربية ساعدت كثيرا في الترويج لفكر الإصلاح الديني والفكر الجديد الجغرافي، ساهم في قيام الثورات الدينية وحركة الكشوفات الجغرافية. ()

وفي عهد النهضة تبلورت كثير من النظريات السياسية تناولت طرق إقامة حكم الدولة القوية المركزية وعلاقة الحاكم بالمحكومين بناء على مبادئ الحرية والسلم واحترام القانون والعدالة والعلمانية هذه الآراء سوف

تحدث ثورة في الفكر الأوربي خلال القرن الثامن عشر الذي استفاد منها في الدعوة إلى إعطاء الحقوق الطبيعية للأفراد والسيادة الشعبية وشرعية الانتفاضات والثورات كان من أبرز دعاتها المفكر البريطاني جون لوك والمفكرين الفرنسيين (مونتسكيو فولتير، جون جاك روسو) أدى إلى تشكل الفكر السياسي الفرنسي خلال القرن الثامن عشر الذي استلهمت منه الثورة الفرنسية مثلها.

وفي المجال العلمي أدى عصر النهضة إلى ميلاد المنهج العلمي التجريبي القائم على الملاحظة والفرضيات و التجارب، نتج عنه ظهور نظريات علمية مذهلة، أبرزها نظرية كوبرنيك (الأرض تدور حول نفسها وحول الشمس) ،أبطلت النظرية القديمة لبطليموس التي تقول بأن الشمس تدور حول الأرض ،()ونظرية الجاذبية لدافنشي وجاليلو، أدت إلى التعرف على قوانين الحركة الطبيعية، وصححت المفاهيم اليونانية في هذا المجال (نظريات أرسطو حول الحركة). ()وقد طوّر العالم البريطاني "فرنسيس بيكون" المنهج التجريبي الذي أنتج كل هذه النظريات حتى أصبح اتجاها علميا ومدرسة قائمة بذاتها()استفادت منها أوروبا في تطوير مختلف العلوم الفيزيائية والفلكية والطبية.

خصائص النهضة:

1- النزعة الإنسانية:

جعلت النهضة من الإنسان محور اهتماماتها ضاربة بعرض الحائط تقاليد العصور الوسطى، التي أهملت دور الإ نسان وكبلته بشتى القيود، فتخطت النهضة العصر الوسيط بكل موروثه الثقيل وعززت قدرات الإنسان الفكرية والإبداعية ورمت كل ثقلها في الاعتزاز به والثقة في عظمته وقدرته على التعبير وتحقيق مثله في العيش و الحرية والتفكير. ()

لذلك هيمن على النهضة الأوربية النزعة الإنسانية التي اتجهت نحو إحياء التراث اليوناني واللاتيني وإعادة قراءته للاستفادة من قيمه وعلمه خدمة للإنسان الأوربي وليس كما كان في العصر الوسيط الذي لم يكن للفرد فيه آية قيمة اجتماعية.

2- جمع التراث اليوناني واللاتيني القديم:

اختص نشاط النهضة في جمع المخطوطات والمؤلفات النادرة القديمة، فقد ظهرت حركة واسعة قام بها العلماء الإنسانيون بتشجيع من العائلات الحاكمة في إيطاليا وكانت القسطنطينية والمدن الإيطالية محورا رئيسيا لهذه الحركة. ()

3- الاهتمام بالآثار وعلم التاريخ:

اتجهت النهضة نحو التنقيب على الآثار الرومانية، والاهتمام بالتاريخ ودراسته دراسة علمية عن طريق الحصول على النصوص من مصادرها الأصلية، وتطبيق مناهج علمية في دراستها تعتمد النقد والشك، أدت إلى

ظهور مدارس النقد التاريخي في إيطاليا (فلورنسا خصوصا). ()

4- نهضة فنية:

لا شك أن كل متتبع لمسار النهضة الأوربية يلاحظ شغفها بالفن (التصوير، النحت، البناء) فظهر فنانون أبدعوا في إخراج مختلف التحف الفنية؛ من قصور وكاتدرائيات وتماثيل وصور تنبض بالحياة، ومن أقطاب النهضة الفنية ليوناردو دافنشي صاحب صورتي: الموناليزا والعشاء الرباني الأخير ورفائيل الذي اشتهر بصوره الزيتية المعبرة، والنحاتين: مايكل أنجلو ودوناتلو (مؤسس المدرسة الطبيعية في النحت)، وبرنلسكو الذي ترك لمسة فنية رائعة على كاتدرائية فلورنسا. ()

5- إحياء الدراسات القديمة:

ركزت النهضة الأوربية على إحياء الأدب اللاتيني واليوناني واتجه العلماء إلى امتلاك اللغة اليونانية واللاتينية وتمكنوا من نقل المؤلفات الأجنبية ونشرها، خاصة بعد ظهور الطباعة وتشجيع الحكام لهذه العملية، خاصة في إيطاليا وفرنسا، فقد أنشئت في إيطاليا لهذا الغرض الأكاديميات في فلورنسا وروما، وفي فرنسا أنشأ الملك فرانسوا الأول كلية فرنسا (1530م) التي اهتمت كلها بتدريس اللغات القديمة وإحياء الأدب القديم.()وقد توجهت النهضة في فرنسا نحو إحياء الدراسات القانونية القديمة الرومانية، فقد درس علماء القانون الفرنسيين أمثال جاك كوجاز ودوليه وبريسون القوانين الرومانية ونشروا نتائج دراساتهم.()

6- ظهور اللغات الحديثة:

كان من أهم خصائص النهضة الأوربية استخدام العلماء والأدباء لهجاتهم المحلية في التأليف مثل جفري تشوسر الذي كتب قصص "كانتر برى" بالإنجليزية، وكتب دانتي "الكوميديا الإلهية" بالإيطالية، وحرر مونتني رسائله الفلسفية بالفرنسية. ()

وبنفس اللغة حرر رابليه أدبه الفكاهي، وكذلك الأمر بالنسبة لسرفنتس الذي كتب رواية "دون كيشوت" بالإ سبانية، وباراسلوس الذي حاضر باللغة المحلية الألمانية. () فنمت اللغات القومية الأوربية التي غدت من أهم مظاهر التحول الثقافي في عصر النهضة.

7- الإصلاح الديني:

اتجهت النهضة في بعض الدول الأوربية كانجلترا وألمانيا نحو إحياء المسيحية، وقد تجند لهذه العملية مفكرون أبرزهم جون ويكليف واراسموس وجون هس، كونوا أرضية تدعو إلى التجديد والإصلاح، استفاد منها المصلحون اللاحقون كمارتن لوثر وكالفن وزونجلي في الثورة على الكنيسة نتج عنها ظهور المذاهب الدينية و القضاء على هيمنة الكنيسة الروحية والفكرية والسياسية، ولعلّ هذه تعد من أهم أحداث عصر النهضة وظلت خاصية بارزة من خصائصها. ()

8- الخصائص الفكرية والعلمية:

تميزت النهضة في حقل العلوم بظهور المنهج التجريبي القائم على الفرضية والتجربة الذي افتتح عهده روجر بيكون وتم تطويره على يد فرنسيس بيكون، أدى إلى نتائج علمية باهرة غيرت الواقع العلمي لأوروبي خاصة في الفلك والفيزياء والطب. ()

وفي عالم الأفكار تميز عصر النهضة بظهور نظريات فكرية سياسية جديدة تناولت الأسس التي تقوم عليها الدولة المثالية (الحرية، السلم، العدل....)، ووضحت العلاقة بين الحاكم والمحكومين وموضع الكنيسة من السلطة السياسية.()

9- الخصائص السياسية:

تمثلت أساسا في انحلال نظام الاقطاع، وقيام ملكيات وطنية مركزية في غرب أوربا (فرنسا إسبانيا، انجلترا ا لأراضي المنخفضة)، وقد حدث هذا التحول النوعي بعد تراجع نفوذ الأمراء الإقطاعيين لصالح الملوك الذين استطاعوا التحكم في مملكاتهم()نتيجة تحالفهم مع كبار التجار البورجوازيين وبذلك زال نظام الإمبراطورية وحل محله نظام الدولة الملكية لمركزية القومية وهي خاصية سياسية هامة حظيت بها أوروبا في عصر النهضة.

10- الخصائص الاقتصادية:

تميزت النهضة بنشاط حثيث للتجارة الداخلية في أوربا والتجارة العالمية، خاصة في أعقاب الكشوفات الجغرافية فتحول الاقتصاد الزراعي الذي كان قائما على الاكتفاء الذاتي إلى اقتصاد زراعي تجاري متداخل ميّز ذلك القرون الثلاثة التالية لعصر النهضة. ()

11- تعاظم دور المرأة وانحطاط مستوى الأخلاق والآداب العامة:

برز دور النساء جليا في عصر النهضة وفسح فيها المجال الدور الخيال والجمال الذي كانت المرأة حاضرة فيه بقوة وظهر اتجاه قوي بعدم الانقياد نحو الآداب والأخلاق العامة والتقاليد، كعدم التقيد بالروابط الزوجية مثلا، فأعطى الأفراد لأنفسهم قدرا من الحرية وصل إلى درجة تطلع الزوجين إلى الهوى والعشق بعد الزواج، وكثيرا ما كانت تحدث نتيجة ذلك فواجع ومآسي وانتقام عنيف كما ظهر الانحلال الخلقي في الأغاني العاطفية المفضوحة –وكان هذا خاصة في إيطاليا- وقد وصف المصلح الديني مارتن لوثر هذا الوضع بقوله: "كل من يذهب إلى روما يشعر بأن عقيدته الدينية تترنح تحت الضربات التي تصيبه من جراء ما يرى"()ولعل هذا ما جعل رواد النهضة الإيطالية أمثال دانتي وبترارك ينتقدون هذا الوضع. ()